نظرية ضعف الشعر في صدر الإسلام

م.د.جاسم خلف صالح/كلية اللغات / جامعة التنمية البشرية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه الأبرار المجاهدين ، ومن اقتدى به ، وسارَ على منهاجِه إلى يوم الدين وبعد:

وقفنا في دراساتٍ سابقةٍ على موقفِ القرآنِ الكريمِ وموقفِ الرَسولِ مُحَمَّد(صلى الله عليه وسلمَ) والصحابةِ الكرامِ (رضيَ اللهُ عنهم) من الشِّعرِ والشُعراءِ ، وتوصلنا إلى أنَّ ألإسلامَ لمْ يُحارِبِ الشعرَ والشعراءَ و إنما شجعَ وأثابَ و أثنى على الشعرِ الذي يَتَّسِمُ بالحكمةِ والموعظةِ ، وأكرَمَ الشعراء الذينَ دافَعوا عن العقيدةِ بألسِنَتِهِم، كما دافعوا عَنها بأَسنَّتِهِم . ووقَفَ ضِدَّ نوعٍ من الشِّعر لايَنْسَجِمُ مَعَ مبادئِ الإسلامِ وقيَمِهِ . ومَعَ ذلك يجدُ الباحِثُ اختلافاً بين الباحثين قُدامى و محدثينَ، فقَدْ كَثُرَ النِّقاشُ بينهم في موقفِ الإسلامِ من الشعرِ، فمِنْ قائلٍ إنَّ الشِّعرَ قَد ضَعُفَ وأصابَهُ الخمولُ، ومِنْ قائلٍ إنَّ الإسلامَ قد شَجَّعَ الشعرَ وأكرمَ الشعراء، ومِنْ اجلِ الوقوفِ على هذهِ النظريةِ، كان هذا البحثُ، الذي يتألفُ من مبحثينِ ، وخاتمةٍ.

المبحث الأول : تناولَ الأراءَ التي أيدتْ نَظَريةَ ضَعفِ الشعرِ في عَصْرِ صَدرِ الإسلامِ.

أما المبحث الثاني : فقد استعرض الآراءَ التي أثبَتَتْ بُطلانَ هذهِ النظريةِ وأكدتْ نُموَّ وازدهارَ الحياةِ الأدبيةِ في هذا العصر. وتضمنت الخاتمةُ أبرزَ نتائجِ البحثِ ، ومن الله التَّوفيقِ والسَّدادِ.

المبحث الأول :

ضَعفُ الشعرِ في صدرِ الإسلام

يبدو أَنَّ الباحثينَ في هذا الَموضوعِ من أصحابِ هذا الرأي قد تأثروا بما وَرَدَ على لسانِ ابن سَلاّم إذ قال :((فجاءَ الإسلامُ فتشاغلتْ عنهُ العربُ وتشاغلوا بالجهادِ وغزوِ فارسَ والروم، ولَهَتْ عن الشّعرِ وروايتِه فلمّا كَثُرَ الإسلامُ وجاءتِ الفُتوحُ ، واطمأنتْ العَرَبُ بالأمصارِ راجعوا روايةَ الشِّعر)) [(١)].وكذلك اطلعوا على رأي ابن خلدون ، إذ يقول

(١)طبقات فحول الشعراء ج١ ص:٢٥

:((ثم انصرفَ العربُ عن ذلك (أي عن الشعرِ) أول الإسلام بما شَغَلَهُم من أمرِ الدينِ والنبوةِ والوحي ، وما أدهشَهُمْ من أسلوبِ القرآنِ ونظمهِ فأُخْرِسوا عن ذلك وسكَتوا عن الخَوضِ في النظمِ والنثرِ زماناً ، ثم استقَرَّ ذلك وَأَوْنَسَ الرُّشْدُ في الملةِ ، ولم يَنْزِل الوَحيُ في تحريمِ الشّعرِ وحَظْرِهِ ، وسَمِعَهُ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) ، وأثابَ عليه ، فَرَجَعوا حينئذٍ إلى دَيْدَنَهُمْ منه)) [١] .

وابن خلدون يحَدِدُ انشغالَ العربِ عن الشعرِ أولَّ الإسلام ، عندما كان الوحي ينزلُ على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولما لَمْ يُحَرِمَهُ القرآنُ الكريمُ ، وقد سَمِعَهُ الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأثابَ عليه ، عادوا الى دَيْدَنِهِم الأولَّ في تعامُلِهِم معَ الشعرِ ، وقد ابدعوا فيه أيَّما ابداعٍ ، يقولُ :((إنَّ كلامَ الأسلاميين من العربِ أعلى طبقةً في البلاغةِ وأذوقِها من كلامِ الجاهليين ، في منثورِهم ومنظومِهم ، فإنّا نجدُ شعرَ حسّانَ بنِ ثابتٍ وعُمرَ بنَ أبي رَبيْعَةَ والحُطيئةَ وجريرَ والفرزدقَ

وَنُصَّيبَ .....أرفعَ طبقةً في البلاغةِ بكثيرٍ من شعرِ النابغةِ وعنترةَ وابنِ كلثومَ وزهيرٍ وعلقمةَ بنِ عَبدَة وطرفةَ بنِ العبدِ ..... والسَبَبُ في ذلك أنَّ هؤلاءِ الذين

أدْرَكوا الإسلامَ سَمِعوا الطبقةَ العاليةَ من الكلامِ في القرآن والحديثِ اللّذينِ عَجِزَ البشرُ عن الإتيانِ بمثليهما ، ونشأتْ على أساليبها نفوسهُمْ ، فنهضَتْ طِباعُهُمْ وارتَفَعتْ مَلكاتُهُمْ في البلاغةِ عنْ مَلَكاتِ مَنْ قَبْلَهُمْ من أَهلِ الجاهليَّةِ مِمَنْ لمْ يَسْمَعْ هذه الطّبقةِ ، ولا نشأَ عليها فكان كلامُهُمْ في نظمِهم ونَثرِهم أَحسَنَ ديباجةٍ وأصفى رونقاً من أولئِكَ وأرصفَ مبنىً وأعدلَ تثقيفاً بِما استفادوه من الكلامِ العالِي الطَّبقةِ)) [٢].

وبناءاً على هذا القول الذي اَزالَ اللَّبسَ عن قولهِ الأوَّلِ ، يقولُ احدُ الباحثين ((فأذا كان ابن خلدون يَحتجُ بشعر كُلٍّ من حسانَ والحطيئةَ على رُقيِّ الشعرِ الإسلامي وتَفَوُقِهِ في أساليبهِ ومعانيهِ جميعاً على شعرِ العصرِ السابقْ ، فإنَهُ يُفيدُ ضمناً من غيرِ أدنى شكٍّ ، بأنَّ الشعراء (في اول الإسلام) لم يتوقفوا عنِ النَّظمِ ، وانَّ مستوى شعرِهِمْ لم يَضعَفْ أو يَهبِطْ وإنما على العَكْسِ من ذلك تماماً ، وخلافاً لما يقولُ بهِ آخرون ، تطوّرَ وارتقى)) [٣].

ومما يُقَوِي رأي ابن خلدون وَيُسنِدُهُ ، وَيَرُدُّ على مَنْ يرى أن شعرَ حسانَ في الإسلامِ قد لانَ وَضعُفَ ، تَفَوُقُه على شاعرِ وفدِ تَميم ، ألا ترى أنَّ الأقرعَ بن

حابس يقول :((وابِي أنَّ هذا الرجلَ لَمُوْتَى له : لَخَطيبَهُ أَخْطَبُ من خطيبِنا وَلَشَاعِرُه اَشْعِرُ مِنْ شاعرِنا ، وأصواتُهم أعلى مِنْ أَصواتِنا)) [٤].فاذا كان الوحيُّ لَمْ يُحَرِّمهُ ، وإنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) كان يسمَعُه ويُثيبُ عليهِ ، فكيف انصرفَ العربُ عنه ؟

---

(١)مقدمة ابن خلدون ص:٥٨١

(٢) م.ن ،ص :٥٨٢

(٣)الأدب العربي من ظهور الأسلام الى نهاية العصر الراشدي ، د حبيب يوسف :٩٥

(٤)تاريخ الطبري ، ج ٣ ص :١١٩ وانظر عيون الاثر ج٢ ،ص٢٠٥

وممن إقْتَفى أَثَرَ ابن سلاّمٍ من الباحثين المحدثين ، البهبيتي ، إذ عدَّ نظريةَ ضَعْفِ الشعرِ في صَدْرِ الإسلامِ صحيحةً ، وعلَّل ذلكَ بِقَولِهِ: ((العربُ قوم ذَوُو لُسُنٍ وذوقٍ قولٍ ممتاز . فلم يلبثوا أن أخذَهُمْ القرآن بجمالِه كما أخذَتْهُمْ بالدهشةِ تلك الشريعةِ الكاملةِ المبرَّأةِ من النقائِص التي كانت تَعيبُ الشرائعَ الأخرى . فَشُغِلوا بالقرآنِ ، وسكتَ الشعراءُ ليستمعوا إلى كلمةِ الله)) [١].

ومن يُدَقِقُ في دراسةِ هذه المرحلةِ التاريخيةِ يجد أَنَ المسلمينَ لَمْ يَنْقَطِعوا عن نظمِ الشعرِ ، ولم يَسكتُوا ، بل لهم اشعارٌ كثيرةٌ ، يمكن الرجوعُ إليها في المصادرِ التاريخيةِ والأدبيةِ ، فلا نَجِدُ حدثاً إلا وَصوَّرَهُ الشّعرُ كما سَجَلَهُ التاريخْ . نعم إنَّ القرآن الكريم غَلَبَ العربَ بِبَلاغَتِهِ وإعجازِهِ لكنهُ لَمْ يَنْهَ عَنْ قَولِ الشِعرِ وَنَظْمِهِ ، بَلْ أَثَّرَ في الشعرِ تأثيراً كبيراً يَتَجَلى ذلك في استِعارَةِ الشُعَراءِ للتشبيهاتِ القرآنيةِ ، واقتباسِ اللألفاظِ والمضامينِ الأسلاميةِ ، وتوظيفِ القصَصِ القرآني في شِعرِهِمْ .

وأَيدَّ جرجي زيدان . نظريةَ ضَعْفِ الشعرِ ، في عَصرِ صدرِ الإسلامِ لأنشِغالِ المسلمينَ بالفتُوحِ ، يقولُ:((إنَّ الشعرَ في عصرِ الراشدينَ توقَّفَ لأشتغالِ المسلمينَ عنه بالفتوح)) [٢]. ومعلومٌ انَّ الفتُوحَ مِنْ بواعثِ الشِعر ، إذْ يَتَحدَّثُ الشعراءُ عن صبرِهم وفروسيتهِم ، وتصويرِ البلدانِ المفتوحةِ ، فلم تكن الفتوحُ سبباً في توقُّفِ الشعرِ .

والدكتور مصطفى الشكعة من الذين قالوا بنظريةِ ضَعْفِ الشعرِ في عصرِ صدرِ الإسلامِ ، يقولُ : ((لَعَلَهُ من نافلةِ القولِ أَنْ نعترفَ بأَنَّ الشعرَ قَدْ خَبَتْ جذوَتُهُ وتوارَتْ بَلاغَتُهُ في إبانِ البعثةِ النبويةِ و خِلالَها ، لقد تَوارى الشعرُ وَتَحامى إنشادُه الشعراء)) [٣]، وهذا يَتَنافى وَحَقيقة ألشعرِ في عصرِ البعثةِ . وكان الشكعةُ قد تابعَ حديثَهُ عَنْ انزواءِ الشعرِ في هذا العَصرِ بِقَولِهِ: ((حتى أنَّ شاعراً فحلاً مِثلَّ لبيد اقلعَ عن الشعرِ تماماً بَعدَ أن أَسْلَمَ بِسَبَبِ احتفالِهِ بالقرآن الكريم)) [٤]. وقدْ تَوَهَمَ القُدامى وَالمحَدثُون الذينَ ادَعوا أنَّ لبيداً اَقلَعَ عَنْ قَولِ الشعرِ وأنهُ ((لم يَقُلْ في الإسلامَ إلا بيتاً واحداً، واختُلَفَ في البيت)) [٥]. وقَد فَنَّدَ الدكتور يحيى الجبوري هذه الدعوى من خلالِ دراسةٍ معمقةٍ لشعرِ لبيد حيثُ يقول : ((وكل هذا الشعر الذي استطعنا أن نستدلَ عليه بتاريخِه ومناسَبَتِهِ ، مما قالَهُ في عهدِ إسلامِهِ وهو شعرٌ كثيرٌ، تعدادهُ ثلاثمائة وخمسون بيتاً وهويقاربُ ثلثَ شعْرِهِ جميعاً، ومن غريبِ

المصادفةِ أنَّ لبيداً أمضى ثُلثي عُمرِهِ في الجاهليةِ وثلثاً في الإسلام ، وانهُ نَظَمَ ثُلثي شعَرَهُ في الجاهليةِ وثُلثاً في الإسلام ، وهذا تَناسبٌ طَبيعيٌ بينَ عُمرِهِ وإنتاجِ شعرِه)) [٦].

---

(١)تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، البهبيتي ، ص: ١١٣

(٢)تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ،ج١، ص:٢٢٢

(٣)الأدب في موكب الحضارة الأسلامية ،د.الشكعة ، ص:٥٧

(٤)م ن ، ص: ٥٨

(٥)الشعر والشعراء ، ص: ١٦٧

(٦)لبيد بن ربيعة العامري ،د يحيى الجبوري،ص: ٣٩٣

وبذلك فإنَ تَوَقُّفَ لَبيدٍ عَنْ قَولِ الشعرِ أو العِنايَةِ بهِ كانَ في آخرِ حَياتِهِ ، ((وهو تَوَقُّفٌ اقتَضَتْهُ الشَّيخوخَةُ وأَوجَبَهُ الهَرَمُ)) [١]. وَلَمْ يَكُن بِفعْلِ الإسلامِ كَما ذَهَبَ إلى ذلك كَثيرٌ من الباحثينَ قُدامى و مُحدَثين ، ولذلكْ فإنَ ما ذَهَبَ إليهِ بَعضُهُم من أَنَّ ((شِعرَهُ كُلُّهُ كانَ في الجاهليةِ وَلَمْ يَقُلْ شعراً في الإسلامِ)) [٢].غَيرُ صَحيحٍ، وَمَعنى هذا أَنَّ السَّبَبَ في تَوقُّفِهِ عَن قولِ الشِعرِ كِبَرُ سِنِّهِ وَعَجْزِهِ ولَيسَ اسلامَهُ وزُهدَهُ ، لأنَّ الإسلامَ لَمْ يَمنَعِ الشِعرَ ، ولَمْ يَحُلْ بينَ الشُعراءِ وَبينَ فَنِهِمْ .

أَما أَصحابُ الرأيِ الثاني : فذهبوا إلى أنَّ الشُعراءَ عَبَّروا عَنْ أَفكارِهِمْ في ضوءِ المعطياتِ الجَديدةِ التي جاءَ بِها الإسلامُ وإذا حَدَثَ ضَعْفٌ في بَعضِ جَوانِبِهِ فأنَّ ازدهاراً حَدَثَ في جوانِبَ أُخرَى .

المبحث الثاني :

بطلان نظرية ضعف الشعر في صدر الإسلام

سَنَقِفُ عِندَ آراءِ بَعضِ الباحثينَ في تاريخِ الشعرِ العربي ونَقدهِ الذين اثْبَتوا بُطلانَ نظريةِ ضَعْفِ الشّعرِ في عَصرِ صَدرِ الإسلام ، وَمِنهُم طه احمد ابراهيم الذي قال: ((كان عصرُ البِعثةِ حافلاً بالشعرِ ، فيّاضاً بهِ .... فالخُصُومَةُ بينَ النَبيِّ (صلى الله عليه وسلم) واصحابِهِ من ناحيةٍ وبينَ قريشٍ والعَرَبِ من ناحيةٍ أُخرى كانَتْ عَنيفَةً حادةً لَمْ تَقْتَصِرْ على السّيفِ والسِنّانِ ، بَلْ امتدَّتْ إلى البيانِ والشعرِ ، وإلى المناظَراتِ والجَدَلِ ، وإلى المناقَضَاتِ بينَ شُعراءِ المدينةِ وشُعراءِ مَكَةِ ، وغيرِ مَكةِ منَ الذينَ خاصَمُوا الإسلامَ وأَلَّبوا العربَ عَليهِ)) [٣].

أما الدكتور شوقي ضيف فَقَدْ ذَهَبَ إلى أَنَّ الإسلامَ أَذكى جذوةَ الشِعرِ ،يقول: ((ومِنْ الظُلمِ للإسلامِ أَن يُقالَ إنهُ كَفَّ العَرَبَ عن الشِعرِ ، وَوَقَفَ نَشاطَهُ ، فقد كانَ يُنشَدُ على كلِّ لِسانٍ ، وساعَدتِ الأَحداثُ على ازدِهارِهِ لا على خُمُولِهِ ، سواءٌ في معركَةِ الإسلامِ معَ الوَثَنيينَ والمرتَدينَ أو في الفُتوحِ ... ولَعَلَّنا لا نُبالِغُ إذا قُلنا إنَّ الإسلامَ أذكى جذوتَهُ وأشْعَلَها إشعالاً ، فإنَّ أحداثَهُ حَلَّتْ عُقَدَ الألسِنَةِ وأَنطَقَتْ بالشعرِ

كثيرين مَنْ لَمْ يَكُنوا يَنطِقونَهُ ، فأذا بِنا نَجِدُ مَكَّةَ التي لن تُعرَفَ في الجاهليةِ بشعرٍ كثيرٍ ، يَكْثُرُ شُعَراؤُها)) [٤].

وَلعلَّ الدكتور يحيى الجبوري من أكثرِ الباحثينَ الذينَ اعتنوا بقضيةِ الإسلامِ والشعرِ، إذ تَعَرَّضَ لهذا الموضوعِ في أكثَرِ مؤلفاتِهِ :لبيد ابن ربيعةَ ،وشعرُ المخضرمين وأثرَ الإسلامِ فيه ، والإسلام والشعر ، الذي أَفرَدَهُ لِدراسَةِ هذا الموضوع .

---

(١)م ن ، ص: ١٥١

(٢)الشعراء المخضرمين ، د عبد الحليم حفني، ص: ٢٢

(٣)تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه احمد ابراهيم ، ص : ٢٦

(٤)العصر الاسلامي ، د. شوقي ضيف ، ص:٤٦

وَقَدْ رَدَّ على القائلين بِضعفِ الشعرِ في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ بقَولِهِ: ((وَقَدْ هالَني وَأَنا أَمضي في دِراسَةِ هذهِ الفَترَةِ ، أَنَّ الحَياةَ الأدبيَةَ كانَتْ من الإزدِهارِ بِمَكانٍ ، وأَنَّ الإسلامَ كانَ بَريئاً مِمَّا يُنْسَبُ إليهِ ، مِنْ وقوفِهِ بِوَجهِ الشعرِ والشُعراءِ ، بَلْ كانَ الشعرُ سِلاحاً قوياً مِنْ أَسلِحَةِ الجِهادِ ، شَهَرَهُ الإسلامُ بِوَجهِ خصومهِ ، وأَنَّ الشُعَراءَ كانوا في طَليعةِ المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ بسيوفِهِمْ وأَشعارِهِمْ)) [١].

وَيَشتَرِكُ في رأيهِ معَ رأيِ د. شوقي ضيف الذي ذكرنا ، حيثُ يَقول : ((وإذا كانَ قد خَمَلَ شعرٌ وَسَكَتَ شُعَراءٌ ، فإنَّ شعراً آخرَ وشُعَراءاً آخرينَ ، قَدْ بَرَزوا لِميدانِ الشعرِ بَعدَ أَنْ كانوا مَغمورينَ خاملينَ ، مِثلَ شُعراءِ مَكّةَ)) [٢].

وذَهَبَ بَعضُ الباحثينْ إلا أَنَّ الشعرَ في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ قَد اكتَسَبَ من الإسلامِ خصائِصَ جديدةً ، فَبدأ لنا تطورٌ في لُغَةِ الشُعَراءِ ، وَرِقَةِ الفاظِهِمْ ، ووضوحٍ في مَعانيهِم ، وَيَمتازُ شِعرُ هذا العَصرِ بِنَفَحاتٍ اسلاميةٍ ((فلا ترى فيه يأساً من الحياةِ

وَتبرماً بِمَصيرِها شأنَ الشعرِ الجاهلي، بَلْ تَلمِسُ بِهِ ارتياحاً شديداً إلى نَعيمِ الآخرةِ،إلى الجنةِ التي وعَدَ بِها القرآن المتَّقين، واكتَسَبَ الشِعرُ المخَضْرَمُ خصوصاً،واللغةُ عموماً، تعابيرَ جديدَةً مِنَ القرآنِ، والفاظاً لَمْ تَكُن مألوفةً مِنْ قَبْلُ كالجنّةِ والنّارِ ، والكفرِ والإيمانِ ، والصَلاةِ والزَكاةِ ، والرُكوعِ والوضوءِ)) [٣].

إنَّ الإسلامَ قَدْ الزَمَ الشُعَراءَ بقضيةٍ ، وبذلك أَصْبَحَ الشاعرُ الإسلاميُّ أكثرَ إلتزاماً من الشاعرِ الجاهلي ، ولكننا يَجبْ أنْ نَذكُرَ أنَّ مبدأ الإلتزامِ الذي أخذَ بهِ الإسلام لَمْ يَكُنْ جامداً متزمتاً ، إذ إنَّ قادةَ الإسلامِ ((كانوا اكثرَ تَسامُحاً معَ ما يتَّصِلُ بالنفسِ الإنسانيةِ وأشواقِها وأَحلامِها ، وقد استَمَعَ الرسولُ (صلى الله عليه وسلم) إلى غزلِ كعبِ بن زهيرٍ في مَطلَعِ قصيدتِه (بانت سعاد) هو غزلٌ فنيٌ جميلٌ تتَنَفَسُ فيهِ عِواطِفُ كعبٍ وأهواؤه ، وتَتَغنى بهِ اشواقهُ .... فَسَمِعَ القصيدةَ كُلَّها ، وفازَتْ بإعجابِهِ ، وَعَبَّرَ عَنْ رِضاهُ وعَفوِهِ عنه فأضفَى عليه بُردَتَهُ)) [٤].

وَيرى الدكتور داود سلوم أنَّ ((مواقِفَ الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) والقرآنِ الكريمِ المتسامحةَ من الفنان والاعتقاد أنَّ الطَبيعةَ البَشَريةَ لايُمكِنُ أنْ تُمنعَ من التعبيرِ عَن نَفسِها ، وَرَمى الإسلامُ بعيداً بالمغالطاتِ التي تُحاوِلُ أنْ تَفرِضَ سُلوكَ الملائكةِ على الإنسانِ ذي الطبيعةِ البشريةِ التي يَمتَلِكُها الخَيرُ والشَرُّ ، والحُبُّ والكُرْهُ ، والصَّلاحُ والفَسادُ)) [٥].

---

(١)الاسلام والشعر ، د .يحيى الجبوري ، ص:١١

(٢)م ن ، ص:٣٤

(٣)ادباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص:٢٦٥

(٤)مواقف في الأدب والنقد ، د. عبد الجبار المطلبي، ص:١٣٩

(٥)مقالات في تاريخ النقد العربي ، د. داود سلوم ، ص:٣٩

وقارن الدكتور سلوم بينَ مَوقِفِ الإسلامِ ، وبينَ مَوقِفِ أفلاطون إِذْ قالَ : ((ففي الوقت الذي حرَّمَ فيه أفلاطون أيَّ نَشاطٍ فَنِّيٍ لكونِ الشاعرِ قَدْ يُلهِي أو يُفَسِّدُ الأخلاق أو يُسيئُ إلى سُمعةِ الآلهةِ ، نَرَى الرسولَ الكريم يقولُ :((لاتَتْرُكُ العَرَبُ الشِّعرَ حتى تَتْرُكَ الإبلُ الحَنينَ)) [١].

وممَّن بَحَثَ هذا الموضوعَ الدكتور سامي مكي العاني في كتابهِ (الإسلام والشعرُ) ، وبعد أَنْ ناقش آراءَ الفريقينِ قال ((وممّا سَبَقَ نَخْلَصُ إلى بطلانِ دَعوى ضَعْفِ الشعر الإسلامي ، ونؤكِدُ أنَّ ما استَنَدَ إليهِ القائلون بِهذهِ الدعوَى يَرجِعُ إلى قِلّةِ إطِّلاعِهِمْ على النُصوصِ الشِّعريةِ أو الى تقليدِ مقولةِ الأقدمينَ أو تحميلِ بَعضِ نصوصِ القرآنِ أو الحديثِ أو النقادِ القدامَى اكثرَ ممّا تَحْتَمِلُ ، وتوجيهها إلى غيرِ ما أريدَ مِنها)) [٢].

وَذهبَ عبد القادر القط بَعْدَ أن تَحَدَّثَ عن جُهدِ الدّارسين في إثباتِ بُطْلانِ الإعتقادِ السائِد من أنَّ الشعرَ قَد خَبَتْ جَذْوَتَهُ وَكَسَدَتْ سُوقُهُ بعدَ الإسلامِ ، الى ((أنَّ إيمانَ بعضِ الدّارسينَ بأنَّ الشعرَ قَدْ رَكَدَتْ ريحُهُ بعد الإسلامِ قد يعودُ إلى احساسِهِمْ بِضعفِ المستوى الفَنِّي لذلك الشعرِ ، والحَقُّ أننّا لَو قارنا بينَ شِعرِ هذهِ المرحلةِ والشعرِ الجاهلِي لأَدْرَكْنا دونَ عَناءٍ أنَّ هناكَ بَوْناً شاسعاً بينَ الشعرينِ مِنْ حيثُ الأصالةُ والمستوى)) [٣]. ويعتَرِفُ في مكانٍ آخَر أَنَّ ذلك الضَّعفِ ألذي لاحَظَهُ على الشعرِ الإسلامي ((كان قد بدأَ في الحقيقةِ قُبيلَ الإسلامِ لا بَعْدَهُ)) [٤].

ويمكنُ القولُ أنَّ مبدأ المقارَنَةِ غَيرُ واردٍ ((إِذْ مِنْ غَيرِ المستَساغِ مُقارنَةُ العطاءِ الشعرِي في مرحلتينِ تاريخيتينِ تختلفانِ اختلافاً جوهرياً من حيثُ الطبيعةُ والخَصائِصُ وحتَّى من حَيثُ المفهومِ الشعري لأنَّ الشعرَ اتَّخَذَ بالفعلِ مفهوماً جديداً في ظِلّ الإسلامِ ، وخَضَعَ لتوجيهٍ جديدٍ أَثَّرَ في مَسارِهِ وَتَطورِهِ)) [٥].

وعندما يَعتَرِفُ القطُّ بأنَّ الضَّعفَ قد بدأَ قُبيلَ الإسلامِ ، فهذا يَعني أنَّ الإسلامَ لَيْسَ سَبَباً فيما ذَهبَ إليهِ ، بَلْ فتحَ ابواباً جديدةً للشعرِ ومَنحَ الشعراءَ ثروةً لغويةً كبيرةً . وكذلك فأنَّ المقارَنةَ غيرُ مقبولةٍ عندما يقارِنونَ بينَ شعرِ المسلمينَ وبينَ شعرِ الفُحولِ من أصحابِ المعلقاتِ في عَصرِ ما قَبلَ الإسلامِ ، وحتَّى شِعرِ المشركينَ الذينَ لَمْ يَتأَثّروا بِلُغَةِ القرآنِ الكريم ، وَشِعرُهُم امتدادٌ لِشعرِ ماقَبْلَ الإسلامِ ((يَخْتَلِفُ عَنْ شِعرِ تِلكَ الطبقةِ العاليةِ مِن شُعراءِ المعلّقاتِ والفحولِ الذينَ بَلغُوا مستوىً فنّياً رائعاً في الأداءِ الشِّعري ، مُفرداتٍ وتَراكيبَ ، اخيلةٍ وتشبيهاتٍ ... وحتى شعرِ البادية الذي قَلَّ تأَثُّرُهُ بالإسلامِ بَقيَ دونَ مستوَى شعراءِ المعلقاتِ)) [٦].

---

(١)م ن ، ص : ٣٩ وانظر قول الرسول(صلى الله عليه وسلم)في العمدة ج١ ص: ٣٠

(٢)الإسلام والشعر ، د. سامي العاني ، ص: ٢٧

(٣)في الشعر الاسلامي والأموي ، د. عبد القادر القط ، ص: ١٢

(٤)م ن ، ص:١٣

(٥)قضية الإسلام والشعر ، أدريس الناقوري ، ص: ٤٧

(٦)الأمالي في الأدب الإسلامي ، د. إبتسام الصفار ، ص: ٣٥

فالشعرُ في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ لَمْ يَتقاطَعْ معَ القرآنِ الكريمِ ، إنَّما صارَ عَوناً للناسِ على فَهْمِ القرآنِ وتَفسيرِهِ ، وقَدْ دَعا ابنُ عباسٍ إلى ذلك بِقَولهِ ((إذا صَعُبَ عَليكُم شيءٌ مِنْ مَعاني القرآنِ فالتَمِسوهُ في الشعرَ))[١]. وبذلك أصبَحَ الشّعرُ ((مُتَمشياً معَ القرآنِ في التفسيرِ لِحاجةِ القرأنِ الى الشعرِ ومَعانيهِ ، فَقامَتْ إلى جانبِ كتبِ ((معاني القرآن)) كتبُ ((معاني الشعر))[٢]. وَيَبقى الشعراءُ يَسْتَمِدوُنَ مِن القرآنِ الكريمِ صوَرَهُم وتَشبيهاتِهِم ومَضامينَهُم في مُختلَفِ العصورِ والأزمانِ.

الخاتمة :

مِنَ المفيدِ أنْ نُسَجَّلَ في خاتِمةِ البحثِ أَبْرَزَ النَتائجِ ، ويُمكِنُ تَلخيصُها بما يأتي :

١- إنَّ الإسلامَ لَمْ يُحارِبِ الشَّعرَ لِذاتِهِ ، لأَنَّهُ نَوعٌ مِنَ الكَلامِ ، حَسَنَهُ كَحَسنِ الكلامِ ، وقَبيحَهُ كقبيحِ الكلامِ ، وبذلك لَمْ يَحلْ دونَ انتشارِهِ وازدهارِهِ .

٢- أصبحَ الشعرُ اكثرَ التزاماً في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ ، لانَّهُ ارتَبَطَ بالدفاعِ عَنْ قَضيةٍ كُبْرَى ، دونَها كلُّ القضايا التي كانَ الشاعِرُ يُدافِعُ عَنها في عَصرِ ما قَبلَ الإسلامِ .

٣- إنَّ الباحثينَ الذينَ قالوا بِنَظَريةِ ضَعفِ الشِّعرِ في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ ، أستَنَدوا في دَعواهم إلى اقوالِ بَعْضِ القُدامى كأبن سلاّم ، من غيرِ أن يدرسُوا العصرَ دراسةً دقيقةً ومستفيضةً .

٤- حافظَ الإسلامُ على كثيرٍ من الشعرِ العربيَ القديمِ الذي تَضَمَّنَ آراءاً وأفكاراً وصوراً أدبيةً لا تتنافَ وقيمَ الأنسانِ الخُليقة ومبادئِهِ الإجتماعيةِ والفكريةِ الساميةِ، وَمَجَّدَ شُعَراءاً جاهليين ومخضرمين أكبروا الإنسان ونافَحوا عن العدلِ والإنصافِ والإحسانِ والمساواةِ .

٥- اكتَسَبَ الشِعرُ في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ خَصائِصَ جديدةً ، فبدا لنا تَطورٌ في لُغَةِ الشُعَراءِ ، وَرِقَةٌ في الفاظِهِم ، ووضُوحٌ في معانيهِم .

٦- امتازَ شعرُ هذا العَصرِ بِنَفَحاتٍ إسلاميةٍ ، فَلا تَرى فيهِ يأساً من الحياة وتَبَرُماً بِمَصيرِها شأنَ الشعرِ الجاهلي ، بَلْ تَلْمَسُ بهِ ارتباطاً شديداً بِنَعيمِ الآخرةِ .

٧- إنَّ نَظَريةَ ضَعْفَ الشِعرِ في صَدرِ الإسلامِ – إنْ لَمْ تَكُنْ باطلةً مِنَ الأَساس – فَهيَ على الأقلِّ نسبيةٌ ، وليست صحيحةً على اطلاقِها مَثَلُها في ذلك مَثَلُ ألمبدأ الذي تَرْتَكِزُ عليهِ ، وهو موقفُ الإسلامِ السلبي من الشعرِ والشعراءِ .

---

(١)العمدة ، ج١ ص:٣

(٢)أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري. د. محمد زغلول سلام ، ص: ٢٠٢

المصادر والمراجع

١- اثر القرآن في تطور النقد العربي الى آخر القرن الرابع الهجري ، د. محمد زغلول سلمان ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١.

٢- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٣- الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي ، دراسة وصفية نقدية ، د. حبيب يوسف مغنية ، دار ومكتب الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥.

٤- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، د. مصطفى الشكعة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ .

٥- الإسلام والشعر ، د. سامي مكي العاني ، مطابع الرسالة ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٣ .

٦- الإسلام والشعر ، د. يحيى الجبوري ، مكتبة النهضة ، بغداد ، مطبعة الرشاد ، ١٩٦٤ .

٧- الأمالي في الأدب الإسلامي، د. إبتسام مرهون الصفار، دارالحكمة، بغداد، ١٩٩١ .

٨- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، مطبعة الهلال ، ١٩٥٧ .

٩- تاريخ الأدب العربي – العصر الاسلامي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ .

١٠- تاريخ الامم والملوك ، الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، ١٩٦٢ .

١١- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ،نجيب محمد البهبيتي، ط٢ ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦١ .

١٢- تاريخ ألنقد الأدبي عند العرب، طه احمد ابراهيم ، دارالحكمة ، بيروت، ١٩٣٧ .

١٣- الشعراء المخضرمين ، د. عبد الحليم حنفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣ .

١٤- الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط٢ ، ١٩٨٥ .

١٥- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤.

١٦- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٥، ١٩٨١ .

١٧- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ابن سيد الناس ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٤ .

١٨- في الشعر الإسلامي والأموي ، د. عبد القادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ .

١٩- لبيد بن ربيعة العامري ، د. يحيى الجبوري ، مكتبة الأندلس ن مطابع التعاونية اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٢٠- مقالات في تاريخ النقد العربي ، داود سلوم ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ .

٢١- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، ط٣ ، مطبعة النهضة ، مصر .

٢٢- مواقف في الأدب والنقد ، د. عبد الجبار المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠